The Quencequences of Illegal Immigration Phenomenon By Youth For The Development In The Algerian Society

انعكاسات ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب على التنمية في المجتمع الجزائري

سميرة منصوري

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2020/01/27؛ **تاريخ القبول**: 2020/09/05؛ **تاريخ النشر**: 2020/09/30

ملخص: تعد ظاهرة الهجرة غير الشرعية(الحرقة) من الظواهر الأكثر استفحالا بالمجتمعات منذ القدم، إلا أن انتشارها في السنوات الأخيرة أخذ أبعادا واتجاهات مختلفة، ما جعلها مجالا خصبا للبحث والدراسة لدى جميع الباحثين باختلاف تخصصاتهم العلمية وميولا تهم الايديولوجية نظرا لتشابك وتنوع عواملها، أساليبها وانعكاساتها، *ومفهوم* الهجرة غير الشرعية مفهوما موازيا للهجرة النظامية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ينتقل خلالها الأفراد من مكان لآخر بحثا عن اشباع حاجاتهم المختلفة: *النفسية، الاجتماعية*، الاقتصادية، الجنسية والعاطفية. يجد فيها حلا لمشكلاته المتنامية في السياق الاجتماعي الخاص الذي مر به المجتمع الجزائري، وما افرزه من مشكلات مست هذه الفئة (البطالة، السكن، العنوسة،...).

و يتقصى هذا المقال **انعكاس ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب على التنمية في المجتمع الجزائري**، على اعتبار أن الشباب هم الفئة الأكثر انسياقا للظاهرة، كما أنه لا يغفل على أحد أهمية هذه الشريحة و دورها في احداث التنمية و التغير الاجتماعي في المجتمع.

الكلمات المفتاح : هجرة، هجرة غير شرعية، شباب، تنمية

Abstract: The a Immigration (Harga in the Algerian variety) is considered the most spread phenomenon in the societies from the ancient times but in the last years the spread of illegal immigration takes different crosses and distances which becomes a reach domain for the research and study by all researchers and their different scientific specialties and their ideological tendencies because of entanglement and types of their causes styles and consequences, The concept of illegal immigration is a parallel concept to regular migration as a social phenomenon during which individuals move from one place to another in search of satisfying their different needs: psychological, social, economic, sexual and emotional. He finds in it a solution to his growing problems in the special social context that the Algerian society has gone through, and the problems that it has touched on this category (unemployment, housing, spinsterhood, ...).

From this starting point, this article is studied the results of youth illegal immigration in the development of the Algerian society. Considerable that youth are the most group that drift to the phenomenon additionally without forgetting that this slide has advantages and roles in the development event and social changement in the society.

Keywords: Immigration; illegal immigration; youth; development.

* المؤلف المرسل

I-تمهيد:

تعد مشكلات الشباب ظاهرة عالمية تشترك فيها جل المجتمعات البشرية، وتشكل قلقا لدى المسؤولين وموضوع بحث ودراسة للباحثين، وإن كانت طبيعة هذه المشكلات تتباين من مجتمع لآخر، فالمشكلات التي تواجه الشاب الجزائري في السنوات الأخيرة والتي تتزايد درجة خطورتها ترتبط في مجملها بالتغيرات البنائية للمجتمع الجزائري الذي مر بمراحل تاريخية متعددة، ويشهد في السنوات الأخيرة تحولات سياسية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية عميقة متسارعة لاسيما في ظل التوجه العالمي نحو العولمة الاقتصادية وتحرير قيود التجارة، من خلال فتح الحدود الزماكنية وتخفيف القيود على السلع وحركة رؤوس الأموال، وما نتج عن ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية، افرزت في مجملها العديد من الظواهر.

وتعتبر ظاهرة الهجرة غير الشرعية واحدة من أهم القضايا المعاصرة التي تحتل صدارة الاهتمامات الوطنية والدولية، فهي من أعقد الظواهر وأخطرها نظرا لتداخل أسبابها، مظاهرها وانعكاساتها، حيث تشكل تعبيرا عن رغبة الفرد (الشاب خاصة) في التغلب على الظروف الصعبة والهروب من الفقر وبداية حياة جديدة قد توفر له الحق في العيش الكريم بطرق مشروعة أو حتى بطرق غير مشروعة، فأصبحت الرغبة في التحرر من قيود الفقر هاجسا أقوى من مواجهة أمواج الموت.

وتعد دول أوربا وشمال امريكا حلم الآلاف من الشباب الجزائري على اختلاف: الجنس، المستوى التعليمي، البيئة الجغرافية، الحالة العائلية، الوضعية المهنية،...الأمر الذي دفع بغالبية الشباب الجزائري يتحول لما يعرف **بالحراقة** مغامرين بحياتهم لمرات عديدة عزاهم في ذلك نجاح بعض المحاولات.

وعلى هذا الأساس اتخذت هذه الظاهرة بعدا جديدا في العلاقات الدولية، إذ أصبحت من أكثر المواضيع اثارة في المشهد الأورو – متوسطي، كما أنها تعد المحور الأكثر تأثيرا في الحسابات السياسية في ضفتي المتوسط و في صياغة السياسات المستقبلية وبناء العلاقات الثنائية.

تأسيسا على ما تقدم يأتي هذا العمل للبحث في موضوع **الهجرة غير الشرعية لدى الشباب و انعكاساتها على تنمية المجتمع الجزائري** من خلال الدراسة التحليلية للعناصر التالية:

- مدخل مفاهيمي
- انعكاسات ظاهرة الهجرة غير الشرعية على التنمية

II- مدخل مفاهيمي:

1.مفهوم الشباب:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد تعريف جامع مانع لمفهوم الشباب باختلاف واضعي التعريف وتخصصاتهم، بين من يحدد هذه الفئة تحديدا سوسيولوجيا، ومن يحددها بيولوجيـــا (فسيولوجيا) ومن يحددها نفسيا، وآخر يحددها ديموغرافيا.

وسنحاول في هذا العرض الموجز التعرض للتحديد الموضوعي لمفهوم الشباب بناء على تقديم مجموعة من التعريفات:

. يذهب علماء الاجتماع إلى تحديد مفهوم الشباب تحديدا علميا موضوعيا بإجماله في مجموعة من المعايير بالإضافة إلى معيار السن « فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا أو أدوارا في بنائه وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي، وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي».

وبهذا يحدث علماء الاجتماع تفرقة بين أدوار الشباب، الدور في مرحلة الإعداد والدور في مرحلة الاكتمال والفعالية، فدور الطالب من النوع الأول، أما دور العامل أو الموظف فهو من النوع الثاني.

فتحديد علماء الاجتماع للشباب كفئة يتم بناءا على «طبيعة ومدى اكتمال الأدوار التي تؤديها الشخصية الشابة».

ويستدلون على ذلك بانتشار ظواهر العنف والانحراف في الوسط الشبابي.

في حين جاء التحديد النفسي لدى علماء النفس لفئة الشباب بناءا على مدى اكتمال بنائهم الدافعي.

فإذا استطاع الشاب أن يلاءم(يكيف) بين قدراته البيولوجية وتنشئته الاجتماعية وحاجاته الوجدانية والإدراكية، فإنه سيصل لامتلاك البناء الدافعي المتكامل الذي يساعده على التفاعل السوي في المحيط الاجتماعي، وهذا ما يسمى عند علماء النفس باكتمال البناء الدافعي.

وإذا كانت محاولات علماء الاجتماع والنفس تتسم بالموضوعية في تحديدها للشباب، فإن لعلماء البيولوجيا أيضا رأي في هذا، حيث تتحدد لديهم فئة الشباب بمدى اكتمال البناء العضوي والفسيولوجي من ناحية الطول والوزن واكتمال نمو مختلف الأعضاء الداخلية والخارجية حتى تتمكن من تأدية وظائفها ويعتبر اكتمال البناء العضوي نهاية مرحلة الشباب، حيث تشكل مجموعة التغيرات النوعية الحاصلة في البناء البيولوجي للكائن الحي بداية هذه المرحلة، فحسب علماء البيولوجية " الشباب رحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الإنسان الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي وكذلك نضجه العقلي و النفسي".

والشباب مرحلة من مراحل العمر تمر بالإنسان وتتميز بالحيوية وهي طاقة تضفي على المجتمع طابعا مميزا وترتبط بالقدرة على التعلم والمرونة وتحمل المسؤولية "فالشباب طاقة قومية بما تحويه من قدرات وأفكار وتعتبر هذه القدرات الايجابية خلاصة المهارات والخبرات التي يكتسبها ويتشبع بها من خلال تجاربه وعلاقاته بالمجتمع، تعتبر هذه الطاقة الإنسانية مجموع القدرات الجسمية والعقلية والنفسية التي يولد بها والتي تشكل وتأخذ أشكالا متفاوتة بين مرحلة وأخرى من مراحل العمر وتختلف من فرد لآخر في ضوء هذه الخبرات والعلاقات الايجابية وتتكيف نتيجة ظروف تعليمية واقتصادية في المجتمع".

* يحدد هذا التعريف فئة الشباب من خلال موقعها في السلم العمري، فما هي إلا مرحلة من مراحل النمو المختلفة لكن تتميز عن بقية المراحل بمجموعة من الصفات والخصائص كالحيوية والمرونة والطاقة الإنسانية المتمثلة في حوصلة من القدرات الجسمية والعقلية والنفسية الفكرية والمكتسبة.

– **تعريف مُحَمَّد علي مُحَمَّد**: الشباب ظاهرة اجتماعية أساسا تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي، النفسي والبيولوجي واضحة وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها وفقا لعدد من المعايير والمحكات، وقد تلجأ كما كان الأمر كذلك في المجتمعات التقليدية إلى طقوس معينة يتعين على المرء المرور خلالها لكي يكتسب المكانة الاجتماعية المخصصة للشباب.

– فئة الشباب من خلال هذا التعريف هي فئة عمرية تمثل حلقة من حلقات السلسلة العمرية، تختلف عن المرحلة السابقة (المراهقة) باكتمال النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي في حين ترك هذا التعريف تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة لمعايير كل مجتمع وقدم مثالا عن المجتمعات التقليدية.

. تعريف إسماعيل علي سعد: "الشباب فئة عمرية تشغل وضعا متميزا في بناء المجتمع وهم ذوو حيوية وقدرة على العمل والنشاط، كما أنها تكون ذات بناء نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والتوافق والاندماج والمشاركة بطاقة كبيرة تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته".

*يرى هذا التعريف أن الشباب عبارة عن فئة عمرية، وقد حاولت التصنيفات تحديد المرحلة العمرية للشباب من سن 16 إلى سن 30 سنة، إلا أن هذه المرحلة العمرية ليست ثابتة حيث يمكن أن تتداخل المراحل فيما بينها نتيجة مجموعة من العوامل، كما يحدد التعريف بعض خصائص هذه الفئة والمتمثلة في الحيوية والقدرة على العمل و النشاط، كما أن لها تكوين نفسي وثقافي يساعدها على التكيف والاندماج في المجتمع، كما يمتاز بطاقة كبيرة تمكنه من تحقيق أهداف مجتمعه.

2. مفهوم الهجرة:

لغة: تعني كلمة هاجر، المهاجرة من البلد وعنه، أي خرج منه إلى بلد آخر.

والهجرة اسم من فعل هجر، يهجر هجرا وهجرانا، نقول هجر المكان أي تركه والهجرة هي الخروج من أرض إلى أخرى ومفارقة البلد إلى غيره.

أما في معجم العلوم الاجتماعية، فالهجرة ترتبط بالأشخاص والتجمعات السكنية ومعناها انتقال الأفراد من مكان ومن بلد لآخر.[9]

ويعرفها علي عبد الرازق جلبي على أساس أنها مؤقتة أو دائمة، وتمثل الهجرة الدائمة عملية انتقال من منطقة الإقامة المعتادة إلى منطقة أخرى وما يصاحبه من تغير كامل لكل ظروف حياة المهاجرين المقيمين الذين يتركون محل إقامتهم الأصلي نهائيا ولا يعودون إليه مرة أخرى.

3. مفهوم الهجرة غير الشرعية:

تعرف على أنها: انتقال أشخاص أو مجموعة من الأشخاص من دولة إلى أخرى بدون إذن قانوني من البلد المقصود، بقصد العمل أو الإقامة لفترة قصيرة أو طويلة، أو الإقامة الدائمة.

كما عرفها المشرع الجزائري على أنها: كل جزائري أو أجنبي يغادر التراب الوطني بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية وذلك بانتحال هوية أو باستعمال وثائق مزورة أو أية وسيلة احتيالية أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين.

4. مفهوم التنمية:

يقصد بالتنمية لدى السياسيين والاقتصاديين: الوصول بالإنسان إلى حد أدنى لمستوى المعيشة لا ينبغي أن يتنازل عنه باعتباره حقا لكل مواطن تلتزم به الدولة وتعززه الجهود الأهلية لتحقيق كفاءة استخدام الإمكانيات المتاحة، وبالحلول الذاتية لسد التغيرات التي تبدو على مستوى هذا الحد مما لا تسعفها موارد الدولة.

أما لدى المصلحين الاجتماعيين فتعني: توفير التعليم والصحة والسكن الملائم والعمل المناسب لقدرات الانسان، والدخل الذي يوفر احتياجاته وكذلك الأمن والتأمين الاجتماعي والترويح المجدي وتكافؤ الفرص والانتفاع بالخدمات الاجتماعية.

فمفهوم التنمية يتجاوز النمو الكمي ويولي أهمية مركزية ومباشرة لازدهار المجتمع اقتصاديا واجتماعيا مستندا بشكل أو آخر إلى فلسفة وسياسات اقتصادية اجتماعية متكاملة تجسد تدخل الدولة.[15]

III- انعكاسات الهجرة غير الشرعية لدى الشباب على تنمية المجتمع الجزائري

1. مشكلات الشباب:

اهتم العلماء والباحثون بموضوع الشباب اهتماما بالغا تجسد في الكم الهائل من الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع الشباب بالدراسة والبحث، وإن اختلفت تفسيراتهم وتحليلاتهم للنواحي المختلفة للموضوع، إلا أنه لا يعدو تخصص لم يحاول مفكروه معالجة الموضوع، لاسيما فيما يتعلق بأهم المشكلات التي يواجهها الشباب والتي تختلف من شاب لآخر كما تختلف طرق مواجهتها من شاب لآخر.

ترجع هذه الاختلافات للعديد من العوامل لعل أبرزها الاختلاف في الصفات والخصائص الموروثة وكذا الاختلاف في التربية الأسرية ونوع المعاملة التي يلقونها من طرف أسرتهم ومدرسيهم، بالإضافة لاختلاف الاتجاهات النفسية والاختلاف في الأوضاع والمستويات الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشونها.

لكن هذا الاختلاف لا ينفي وجود عدد كبير من المشكلات المشتركة بين الشباب والتي اختلف العلماء في تصنيفها، فمنهم من يصنفها حسب الحاجات الأساسية للشباب، ومنهم من يصنفها حسب البيئة والمواقف والأوساط التي تظهر فيها، ومنهم من يصنفها حسب المظاهر الأساسية للنمو أو الجوانب الأساسية للشخصية الإنسانية، وبالتالي تكون هناك مشكلات جسمية صحية ،مشكلات انفعالية مزاجية، مشكلات عقلية، ومشكلات اجتماعية، وهذا التصنيف يتفق مع تقسيم الخصائص والمميزات ومع تصنيف الحاجات.

ونظرا لأن فئة الشباب أصبحت ذات تأثير لا يمكن تجاهله، فسوف تتضح مشكلاتها فيما يلي:

1.1. مشكلات الشباب الصحية والجسمية: ويشمل هذا النوع من المشكلات:

. الأمراض والاضطرابات والانحرافات الصحية.

. عاهات الحواس والعيوب البدنية.

. المشكلات المترتبة عن الفروق الفردية بين الشباب في نموهم الجسمي.

. المشكلات الناجمة عن التغيرات الجسمية التي تطرأ على الفرد في المراهقة.

. المشكلات المتصلة بسوء التغذية.

كما تبين من خلال البحث الذي قام به المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالتعاون مع وزارة الشباب لتحديد المشكلات التي يعاني منها طلاب الجامعة في المجالات المختلفة ومنها المجال الصحي ما يلي:

. عدم كفاية الرعاية الصحية، وصعوبة الحصول على العلاج وضرورة الحصول على وجبات غذائية مناسبة، كما تتناول ضرورة التخلص من عدد من الأمراض كالصداع وفقدان الشهية والتعب والإحساس بالخمول.

2.1.المشكلات العقلية: وتتمثل هذه المشكلات فيما يتصل بقواهم العقلية وبتحصيلهم المدرسي وعلاقاتهم مع السلطة المدرسية وبالرصيد المعرفي والثقافة العامة، ومن ابرز هذه المشكلات الأمراض العقلية المختلفة، الاضطرابات العقلية المرتبطة بأورام المخ، التخلف العقلي بجميع درجاته، التأخر الدراسي والرسوب المتكرر.

3.1 .المشكلات النفسية: "يعاني الشباب في مرحلة التعليم الجامعي كثيرا من القلق والتوتر وتغلب الحالة الانفعالية والشعور بالنقص والخجل والارتباك والخوف من المستقبل".

إذ ترتكز معظم المشكلات النفسية عند الشباب فيما تخلفه مرحلة المراهقة من تأثيرات انفعالية مصحوبة ببعض التغيرات الجسمية والنفسية والاجتماعية الموافقة للاستعداد للدخول في مرحلة الشباب، بما تحمله من خصائص ومميزات ومشاعر القلق والتوتر وتحمل المسؤولية، " تؤثر هذه المشاعر على الصحة النفسية والنشاط العقلي، واتجاهات الشباب وعاداتها المختلفة ويظهر ذلك في شعور الطالب بالأرق والتعب المزمن والصراع والنسيان وعدم القدرة على ضبط النفس".

4.1. المشكلات الاجتماعية: وتتمثل في النقاط التالية:

. الانخراط في جماعة السوء، وما يترتب عنها من انحرافات سلوكية كالسرقة، وارتكاب الجرائم،... والانحرافات الجنسية.

. قد يحدث للشباب سوء تكيف أسري واجتماعي، فينعزل الشاب عن أية علاقة اجتماعية، فيتمرد ويتحدى السلطة القائمة ويتعصب لآرائه.

. " يبدو هذا التعصب في النقد اللاذع والنشاط الجامح والألفاظ النابية التي تصدر عنه، ويؤكد الشباب مكانته بالمنافسة أحيانا في الألعاب والتحصيل وأوجه النشاط الأخرى، وتحاول الفتيات تقليد الفتيان في السلوك والزي والحوار، ولكن يصلن إلى الاتزان الاجتماعي بعد ذلك من خلال استجابتهن للمعايير الأنثوية الصحيحة في الزي والحديث والسلوك العام".

.كما تلعب الظروف الاقتصادية السيئة دورا في بروز الانحرافات عند الشباب الجامعي كقلة الدخل، ضيق السكن، سوء الخدمات الصحية ..." فالشخصية الشابة خاصة الجامعية هي أكثر شعورا بوطأة هذا الحرمان، نظرا لتعدد مطالبها وارتفاع مستوى طموحها، ومواجهة مستوى من الدخل عاجزا أمام الاحتياجات المتنامية وغير قادر حتى على الوفاء بالمستويات الدنيا لإشباع الحاجـات الأساسية من ملبس ومسـكن ومواصلات وغيرها من بعض الأمور".

5.1. المشكلات الثقافية: تبرز مشكلات الشباب الثقافية من خلال جملة من الأزمات التي يواجهها والخاصة بأزمة الهوية، أزمة الثقة وأزمة الانتماء والفاعلية.

* **هذه المشكلات** التي يواجهها الشباب هي نتيجة افرازات جملة من العوامل الداخلية والخارجية:

تتعلق **العوامل الداخلية** بحالة التخلف العلمي الحضاري الذي لف أمتنا خلال القرون الأخيرة، وتتجسد العوامل الداخلية المباشرة في:

- ✓ ضعف الثقافة الأسرية، وبالتالي ضعف بناء الحصانة والمناعة الثقافية لدى الأبناء.
- ✓ قصور المناهج التعليمية المدرسية والجامعية، وعدم قدرتها على تعزيز الانتماء الثقافي، وبناء ثقافة الجيل.
- ✓ قصور الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه، وسيادة لغة المنع والتحريم على لغة الحوار والإقناع والتأثير.
- ✓ عدم إعطاء الثقافة الشبابية القدر الكافي من اهتمام الحركات الإصلاحية في المجتمع.
- ✓ ضعف البؤر الثقافية في المجتمع من روابط واتحادات وجمعيات، وتأثرها بالواقع السياسي، وعدم الاهتمام بالفجوة بين الحكام والمثقفين، والدوران في حلقة مفرغة، دون المساس بالحلول الجذرية في مواجهة الأزمات والتحديات.
- ✓ عدم التواصل الفعال بين الخطاب الإعلامي والأزمات الثقافية للشباب.

فيما تتعلق **العوامل الخارجية** بحركات الإستشراق، والتبشير والاستعمار التي أسهمت في إيجاد حالة التجزئة في الأمة الإسلامية الواحدة، وأثرت سلبا على الفكر الإسلامي الوحدوي، وعلى الهوية الحضارية للأمة، وتعرضها للغزو الثقافي الغربي المصاحب للحضارة الغربية المتقدمة علميا وتكنولوجيا، مما سارع في حالة التغير الاجتماعي والقيمي في الأمة، وعزز حالة التقليد الحضاري للأنماط الثقافية والاجتماعية الغربية، بصورة غير منضبطة.

ويمكن إجمال أهم العوامل الخارجية في:

- ➢ الغزو الثقافي الغربي، وما صاحبه من مظاهر الإستشراق، وحملات التبشير، والاستعمار العسكري والسياسي الذي رافقه فرض أنماط ثقافية واجتماعية غريبة على مجتمعاتنا، وتأثيرات سلبية على شبابنا قادتهم للتقليد لما عند الغرب في مجال القيم والأنماط الاجتماعية في المأكل والمشرب والملبس ،...
- ➢ تيار العولمة، أو بالأحرى تيار الأمركة الذي تقوده أمريكا وله آثار ثقافية لا تقل عن آثاره الاقتصادية، السياسية والعسكرية السلبية على أمتنا العربية الإسلامية وثرواتها الطبيعية، حتى غدت أمريكا تشير علينا بما يجب أن تكون عليه مناهجنا التعليمية في الدين والتاريخ،...
- ➢ الانفجار المعرفي في سائر العلوم، مما جعل المسافة تتسع يوما بعد يوم بين مجتمعاتنا التي لا تزال في بداية الثورة الصناعية، والدول المتقدمة التي قطعت أشواطا بعيدة في السير نحو مجتمع المعلوماتية والمعرفة، فالقرن الحالي يشهد رأس مال معرفي هو رأس مال حقيقي، لتقدم الأمم وتنمية المجتمعات.

2.انعكاسات الهجرة غير الشرعية للشباب على التنمية في المجتمع الجزائري:

عند معالجة المسار التنموي في الجزائر نجده قد مر ولا يزال بمرحلتين يمكن القول بأنهما متناقضتان: المرحلة الأولى والممتدة من 1962 – 1988 والمرحلة الثانية من 1988 إلى حد الآن ولكل مرحلة خصائصها وملامحها الخاصة.

لقد عرفت المجتمعات البشرية قضية الاستقرار والتغير منذ أقدم العصور، كما أثبت التاريخ أن الإنسان كان ولا يزال حريصا على الاحتفاظ بالأوضاع القائمة كما هي.

وعليه كان لابد من وضع معايير وقوانين تضبط السلوك الإنساني حتى لا يحدث انحراف عن الوضع القائم، فأصبح التغير سمة تعبر عن الانحراف، والثبات هو الوسيلة الوحيدة لاستمرار النسق الاجتماعي وبقائه "وقد انعكس هذا التقديس للأوضاع القائمة على وسائل الضبط الاجتماعي في المجتمع، وأصبح الدين والعادات والتقاليد وغيرها من الضوابط التقليدية قيمة كبرى باعتبارها ضوابط للسلوك، كل ذلك تحقيق للثبات والاستقرار حفاظا على الأوضاع التقليدية القائمة".

وعليه فإن أي نسق اجتماعي يضم نمطين من أنماط العمليات **إحداهما** تعمل على المحافظة عليه والعمل على استقراره وثباته كالعادات والتقاليد و معايير الضبط الاجتماعي، و**الثانية** تعمل على تغييره إما نسبيا (جزئيا) أو جذريا عن طريق القيام بثورة.

وقد كان التغير الاجتماعي سواء كان بطيئا أو سريعا محل دراسة وتحليل من قبل علماء الاجتماع، لأنها ظاهرة لصيقة بالمجتمع البشري، ويقصد به الانتقال من حالة إلى حالة أخرى.

والمجتمع الجزائري كأي مجتمع بشري عرف العديد من التغيرات الاجتماعية عبر مختلف الحقب التاريخية، لعل أبرزها اندلاع ثورة التحرير وحصوله على الاستقلال الذي كان بمثابة تغيير جذري في الأوضاع الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية والسياسية في الجزائر، ومن أبرز آثارها إنشاء قاعدة صناعية وفتح العديد من المدارس والجامعات للقضاء على البطالة والجهل والأمية.

ومن نتائجه كذلك انقسام العائلة الكبيرة التي كانت تضم مجموعة من الأفراد لتصبح أسرة نووية، كل هذه النتائج المتعلقة بالتغير الاجتماعي في الجزائر، قد فرضت ضرورة إعادة توزيع الأدوار والمراكز الاجتماعية بما يتفق مع الوضع الجديد وتماشيا مع الأدوار والمراكز الاجتماعية التي تحدد مكانة كل فرد داخل البناء الاجتماعي ونحاول في عناصر لاحقة معرفة التغير الذي طرأ على مكانة الشباب الجزائري والأدوار التي أسندت إليه.

فالتغيرات الحاصلة في البناء الاقتصادي للمجتمع الجزائري، بالإضافة لأحداث 5 أكتوبر 1988، وما حدث فيها من تقتيل وتخريب قد انجرّ عنها العديد من التغيرات على جميع الأبنية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية في المجتمع الجزائري مما أوصل الجزائر إلى ما يعرف ب «**أزمة المجتمع الجزائري**».

فقد مست هذه الأزمة جميع أبعاد المجتمع و فئاته، وإن كان حديثنا في الفقرات السابقة عن بعض مشكلات الشباب عامة، فإننا سنحاول عرض بعض المشكلات التي تواجه الشاب الجزائري في السنوات الأخيرة والتي تتزايد درجة خطورتها تبعا لمتتالية هندسية، و المتمثلة في:

- ✓ مشكلة البطالة.
- ✓ الانحراف عن القيم.
- ✓ إدمان المخدرات.
- ✓ ظاهرة الإرهاب والتطرف الديني.
- ✓ الهجرة من الريف إلى الحضر و من الجزائر إلى الدول الأوروبية و الأمريكية (**الحرقة**).

فالحديث عن **مسألة الشباب** في أي مجتمع مهما كان بناؤه الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، يتطلب التركيز على جانبين يتمظهر بهما وضع الشباب في المجتمع يمكن صياغتهما في سؤالين هما: **ما الذي يمكن أن نقدمه للشباب؟ وما يمكن أن يقدم الشباب لخدمة المجتمع؟ بعبارة أخرى ماذا ننتظر من الشباب، وماذا ينتظر الشباب من مجتمعه؟**

إجابة هذين السؤالين تحدد أدوار الشباب ومكانته في المجتمع، والتي تساهم في تحديدها مجموعة من المؤسسات الاجتماعية، كالأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، ...

حيث تعمل هذه المؤسسات على دعم أدوار الشباب بما تقدمه من ثقافة وقيم ومعتقدات تشكل شخصية الشاب التي يحاول المجتمع استثمارها في بناء نظمه المختلفة.

وقد حاول **كارل مانهايم** تحديد ماهية أكثر دقة للوظيفة الاجتماعية للشباب في المجتمع فرأى أن المشكلة الأولى التي يمكن أن تثيرنا هي السؤال الرئيسي المتمثل في هل الأهمية الحقيقية للشباب في المجتمع تنتج من المجتمع بما يستفيد من أهمية الشباب؟

حاول **مانهايم** الإجابة عن هذا السؤال، حيث يرى أنه في بعض المجتمعات الكبار يتمتعون بهيبة أكثر من الصغار، أما في بعض المجتمعات الأخرى، فإن الأهمية الكبرى فيها تكون للشباب وصغار السن، حيث أن انتظام هؤلاء الشباب في مجموعات يؤدي إلى نشوء كثير من الحركات التي تكون أكثر تأثيرا في مجريات الأحداث.

ويؤكد في نفس الوقت على أن الأجيال الجديدة والجماعات العمرية تعتمد درجة تكاملها وتأثيرها على طبيعة المجتمع ذاته من حيث الاستفادة بهم، كما يعتمد الأمر على البناء الاجتماعي للمجتمع نفسه وإمكانية استخدام هؤلاء الشباب وتجنيد أو تعبئة الطاقات الكامنة فيها.

يكاد لا يختلف اثنان على أن الشباب يمثل رأس مال المجتمع ومصدر قوته وعزته من خلال ما يمتلكه من إمكانات وطاقات وقدرات على التفاعل والاندماج والمشاركة في قضايا المجتمع، ولما لهم من دور في عملية البناء والتغيير والتجديد، فهم أول الشرائح الاجتماعية التي ترفع لواء التحديث والتطوير في السلوك، العمل وأول الفئات التي تنادي بإسقاط القيم التقليدية المعرقلة لنمو المجتمع وتقدمه، وإحلال قيم جديدة صاعدة تنسجم وروح العصر وطبيعة المرحلة.

ولا نبالغ إذا قلنا أن الشباب هم مصدر التغيير الثقافي والاجتماعي في المجتمع عامة، وهذا يعود إلى نمط الإنتاج الاقتصادي العصري. فالمجتمع مجتمع عمل وإنتاج، مما يجعل الشباب يتخذ صورة قوة عمل أو قوة منتجة تكسبه الأهمية الاجتماعية المعروفة، وكأن المجتمع الحديث يميل إلى استهلاك فئة الشباب قبل غيرها ليمتص رحيق الحياة فيها.

ويمثل الشباب ثقلا رئيسيا من ناحية الكم والكيف، في قوى الإنتاج الزراعي والصناعي والخدماتي وفي القوات المسلحة، وبذلك يعتبر بمثابة القوى الطليعية.... بفضل ما يتميز به من خصائص بدنية، عقلية، نفسية واجتماعية مدعمة للإنتاج.

فقد ساهم الشباب في إعادة تشكيل بناء مجتمعه بما يقدمه من ابتكار وإبداع ولا يخفى على أحد الدور المتنامي لأدوار الشباب في مختلف المجتمعات خاصة المتخلفة منها، بإحداث التغيير في مجتمعاتهم بهدف تحقيق أهداف المجتمع ومصالحه، وإن كان هذا لا يتحقق إلا بمساعدة النظم السائدة في المجتمع وكذا طبيعة بنائه.

كما تكمن أهمية الشباب في المجتمع، فيما يحمله من قدرة على التجديد والتغيير وما يحملونه من قيم جديدة، تقودهم لمواجهة القيم التقليدية السائدة في المجتمع، ولهذا يعتبر الشباب منبع لكل تغير ثقافي واجتماعي في أي مجتمع مهما كان بناؤه السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ولقد استشعر العالم كله أهمية وحيوية دور الشباب بصفة خاصة في أعقاب ثورة مايو 1968 بفرنسا، حيث رفع الشباب على جدران **السوربون** شعارا مؤداه "الثورة البورجوازية ثورة قانونية، والثورة البروليتارية ثورة اقتصادية، أما ثورتنا فهي ثورة ثقافية نفسية".

ولا يخفى على أحد الدور الذي قام به الشباب الجزائري في الجامعات وغيرها في إنجاح الثورة الجزائرية وفي إحداث التنمية المنشودة بعد الاستقلال وحتى الآن، كيف لا والمجتمع الجزائري يعرف بالمجتمع الفعال إذ يمثل الشباب فيه 75% من شرائح المجتمع، فلا يمكن تجاهل الدور الذي قام به الشباب الجزائري إبان الثورة التحريرية وغيرها من عمليات فدائية وتطوعية وحملات تبرع، ... كما كان لهم الدور

الايجابي في حمل السلاح في وجه العدو وفي المفاوضات السرية والعلانية، المؤتمرات الداخلية والخارجية، تشكيل حزب جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة، تحقيق النصر ورفع علم الجزائر، كما كان لهم الريادة في حمل لواء العلم والتعلم للقضاء على المحاولات الاستعمارية التنصيرية والتجهيلية...

كما كان لشباب الاستقلال الدور في إعادة بناء الجزائر اقتصاديا، سياسيا، اجتماعيا وثقافيا، وإن اختلفت الأدوار باختلاف التغيرات والتحولات التي شهدها المجتمع الجزائري، فالمجتمع الجزائري في الستينات والسبعينات ليس هو المجتمع الجزائري في التسعينات والألفية الثالثة، وبالتالي فالمكانات والأدوار تختلف، فالمكانة التي يحتلها الشباب في الجزائر نتيجة من نتائج التحولات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع الجزائري خلال حقب تاريخية متباينة.

من هنا نلمس الانعكاس السلبي للهجرة غير الشرعية نحو دول أوربا خاصة على واقع التنمية في المجتمع الجزائري، بالنظر لخصائص هذه الفئة و الدور الذي تقوم به في تطوير مجتمعاتها.

وتعتبر الجزائر من البلدان النامية التي مستها هذه الظاهرة خاصة بين الكفاءات العلمية، وإذا نظرنا إلى الواقع الذي أفرز هذه الظاهرة بالجزائر نجد أن التفاوت بين النمو الاقتصادي والتنمية الانسانية يعد من أهم المعطيات التي أفرزتها، فقد صنفت الجزائر بحسب تقرير التنمية الانسانية لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي لعام **2010م**، في المركز **84** عالميا، في حين صنف المجلس العالمي للذهب باعتباره هيئة دولية متخصصة الجزائر في المرتبة **11** عالميا، كما جاءت في المرتبة **23** عالميا من حيث احتياطي الذهب، والمرتبة **13** عالميا للصناديق السيادية التي يمثلها صندوق ضبط الميزانية، وعند تحليل مؤشر التنمية الانسانية لعام **2010م**، نجد أن الفرق بين مؤشري التنمية الانسانية والدخل هو **22**، ويعني ذلك أن النمو الاقتصادي بالجزائر لم يترجم إلى نمو انساني، أي أن الثروة المادية لم تترجم في صورة مناصب شغل أو في مجال الصحة والتعليم لضمان حياة كريمة للمواطنين، ومساعدتهم في تحقيق أهدافهم نتيجة الاخفاقات المتوالية لسياسات التنموية بالجزائر حيث كانت حلولها ترقيعيه جزئية لم ترقى لتكون حلولا جذرية لمشكلات التنمية.

ولعل ذلك ما يفسر المأساة الانسانية التي تشهدها الثروة الانسانية بالجزائر من خلال هجرة الكفاءات والأدمغة ومخرجات التعليم العالي بسبب البطالة والتهميش، حيث جاء في جريدة الشروق **11** ايار /مايو **2011م** أن **30%** من الأطباء خريجي الجامعات بطلون، ومن جهة اخرى كشفت احصائيات كلية الطب في جامعة الجزائر على أن ما يزيد عن **7000** طبيب اختصاصي خلال الأعوام الخمسة الأخيرة، أي بمعدل **1500** اختصاصي سنويا، تم توظيف **10%** منهم فقط، ما جعل البقية يقررون الهجرة إلى دول أجنبية على غرار فرنسا وكندا، وهو ما يشير إلى وجود نزيف خطير في هذه الشريحة يستدعي تفطن السلطات لإيقافه، ذلك أن ضرر هذه المأساة في الموارد البشرية بالجزائر لا يقتصر على تضاؤل نسبة الكفاءات بقطاع الصحة العمومية والتي تستغل في بلدان أخرى، وما ينجر عن ذلك من ضعف في طاقات وقدرات هذا القطاع الحيوي لاستيعاب ومواجهة المشكلات الصحية بالبلاد، وإنما أيضا في الهدر المادي والنفقات التي تتكبدها الجزائر على اخراج هذه الطاقات لكي تستفيد منها بلدان أخرى لم تكلفها شيء، فتكوين هذا الكم الهائل من الكفاءات المهاجرة كلف خزينة الدولة مليارات الدينارات، حيث كلفت هجرة الكفاءات الجزائرية الاقتصاد الجزائري **40** مليار دولار فقط في الفترة بين **1992م-1996م**، وصل خلالها متوسط تكلفة كفاءة جزائرية إلى **100** ألف دولار، هذا اضافة إلى الخسائر التي يشهدها الاقتصاد الوطني جراء هذا الفراغ الذي تخلفه الكفاءات المهاجرة في القطاعات المختلفة والذي يضطر الجزائر إلى الاستعانة بالكفاءات الأجنبية وحتى الجزائرية المقيمة بالخارج لتغطية العجز الوطني بتكلفة مضاعفة.

وقد أشار **حمدي شعبان** إلى أن للهجرة غير الشرعية العديد من الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية على البلدان المصدرة كالجزائر يمكن أن نبينها فيما يلي:

1.2. الانعكاسات الاقتصادية:

أ.الانعكاسات الإيجابية:

التحويلات المالية التي تتدفق عليها من مهاجريها، والتي تسهم في عملية التنمية الاقتصادية وتحسين مستوى المعيشة لبقية السكان.
إلا أن لهذه الإيجابية أيضا أثرها السلبي والمتمثل في:

ان هذه التحويلات لا تذهب بالضرورة إلى قنوات الاستثمار الانتاجية وإنما غالبا ما تذهب إلى المجالات الربحية السريعة وهو ما يتعارض مع مفهوم التنمية الحقيقية.
التقلبات التي تحدث في قيمة هذه التحويلات من سنة لأخرى تؤدي إلى عدم الاستقرار في ميزان المدفوعات للدول المصدرة للعمالة.
تسبب هذه التحويلات زيادة معدلات التضخم في الدول المصدرة نتيجة نقل أنماط الإنفاق الاستهلاكي.

ب.الانعكاسات السلبية:

ارتفاع عدد المهاجرين خاصة الحرفيين والمزارعين يؤدي إلى حدوث ندرة في الكفاءات والمتميزين في هذ المجال وبالتالي حدوث خلل في الكفاءة الانتاجية للبلاد.
يؤدي نقص العمالة الماهرة إلى زيادة هائلة في أجور المتواجدين من هذه الفئات، الأمر الذي يؤثر على هيكلة الأجور والتكلفة الاقتصادية للسلع والمنتجات.
تؤدي الهجرة إلى إحباط العمالة الوطنية التي لم تنجح في الهجرة، وفقدانها الحافز على التقدم والتطوير الذي قد يصل إلى الشعور بعدم الانتماء والولاء للمؤسسات التي يعملون بها وشعورهم بعدم الرضا الوظيفي عند مقارنة ما يتقاضونه من أجر بما يتقاضاه أقرانهم في دول المهجر.
كما توجد سلبية أخرى للهجرة غير الشرعية تتمثل في أن الكفاءات المهاجرة قد لا تجد أعمال تتناسب مع الشهادات والكفاءات التي يحملونها، فيضطرون إلى ممارسة مهن أخرى خارج تخصصاتهم وهو ما يجعلهم يفقدون الكثير من تكوينهم بمرور الوقت لعدم تطبيقه وممارسته وبالتالي يعتبر كل ما أنفق عليهم في بلدانهم من أموال قد ذهب هدرا.

2.2.الانعكاسات الاجتماعية: و تتمثل في

غياب الزوج عن منزل الزوجية، يفقد الأطفال الموجه الرئيسي في تربيتهم، وهو ما قد ينتج نسب كبيرة من الأطفال والشباب الخارجين عن القيم والمعايير الاجتماعية للمجتمع.
تزايد نسب الطلاق التي سببها الغياب الطويل للزوج عن منزل الزوجية.
تفكك الروابط الاجتماعية بين المهاجر وأهله وأبناء وطنه نتيجة الفترات الطويلة للغياب والتي من شأنها أن تخلق لديه العديد من القيم والمعايير والسلوكيات الجديدة التي لا تتوافق مع ما هو موجود بأرض الوطن اضافة إلى الاحساس بالاغتراب عن موطنه الأصلي لضعف التواصل معه لفترات طويلة.
تأثر معدلات الخصوبة لدى الرجال المهاجرين نتيجة العمل في أعمال ضارة بالصحة.

IV- الخلاصة:

لقد وجهت معظم الدول والمجتمعات اهتمامها لفئة الشباب وقضاياه على اختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لإيمانها بأهمية هذه الشريحة ودورها في إحداث التنمية المنشودة، لذلك لاقت دراسة الشباب أهمية متزايدة في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء بناء على الخصائص التي يتمتع بها: جسمية، عقلية، اجتماعية أو نفسية، فبالإضافة للثقل العددي الذي تمثله هذه الفئة في أي مجتمع، فإنها تتميز بالحيوية والنشاط والقدرة على العطاء، كما أن صغر سنها يجعلها تمثل المستقبل بجميع أبعاده، لأجل هذا جاء اهتمام الباحثين بهذه الفئة وحاجاتها المختلفة التي يجب على المجتمع أن يعمل على إشباعها بطرق مشروعة حتى لا يلجأ الشاب لإشباعها بطرق و أساليب غير مشروعة تساهم في ظهور مشكلات اجتماعية ،نفسية وصحية لدى الشاب.

وتعد الهجرة غير الشرعية من الظواهر التي تشجع على الخروج عن القوانين والمعايير الاجتماعية للمجتمعات من قبل مجموعة من الأفراد والجماعات التي تعرضت لأنواع من الظلم الاجتماعي في أوطانها أو التي لا تجد تقديرا كافيا لكفاءاتها ضمن ما تتيحه الوسائل الاجتماعية بمجتمعاتهم، وهو ما يولد لدى الشباب خاصة حالة من الاحباط والرفض والسعي إلى ايجاد حلول بديلة من خلال الانتقال من بلدانهم إلى بلدان أخرى يجدون فيها تلك الاشباعات وإن كان ذلك من خلال اتباع وسائل غير قانونية قد تعرض حياتهم وحياة أسرهم للخطر الأكيد، هذا من جهة ومن جهة أخرى ما يترتب عن هذه الظاهرة من تبعات خطيرة على التنمية ببلدانهم. فهي لا تشكل خطرا على الفرد بحد ذاته بقدر ما يترتب عنها من آثار عامة على المجتمع بكل أبعاده، و هذا ما حاولنا **رصده في عناصر** هذه الورقة البحثية.

الإحالات والمراجع :

- علي ليلة(1995)، **الشباب في مجتمع متغير(تأملات في ظواهر الأحياء والعنف)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية..
- مُحَمَّد علاء الدين عبد القادر(1998)، **دور الشباب في التنمية**، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- مُحَمَّد سيد فهمي(د س)، **تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- المنجي الزيدي(2002)، **مقدمات لسوسيولوجيا الشباب**، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 30.
- مُحَمَّد علي مُحَمَّد(1985)، **الشباب العربي والتغير الاجتماعي**، ، دار النهضة العربية، بيروت.
- إسماعيل علي سعد(1989)، **الشباب والتنمية في المجتمع السعودي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- المنجد في اللغة و الإعلام(2007)، منشورات دار المشرق، بيروت.
- مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب(د س)، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت.
- زكي بدوي (1977)، **معجم العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان.
- علي عبد الرازق جلبي(2005)، **علم اجتماع السكان**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- علي الحوات(2007)، **الهجرة غير الشرعية إلى أوربا عبر بلدان المغرب العربي**، ط1، منشورات الجامعة العربية، طرابلس.
- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية (مارس 2009)، **الجريدة الرسمية**، العدد 15.
- كواهي الربيع(2007)، **معوقات التنمية الريفية، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية**، جامعة جيجل، العددين الثاني و الثالث.
- عصام الزعيم(2006)، **التنمية المستدامة: مقاربة نقدية عربية**، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد 33، دمشق.
- . السيد الشحات أحمد حسن(1988)، **الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة.
- . حامد عبد السلام زهران(1977)، **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة.
- . فؤاد البهي السيد(1975)، **الأسس النفسية للنمو**، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة.
- . نور الدين بومهرة(2001)، **العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)**، في : فضيل دليو وآخرون: الجزائر والعولمة ،منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، قسم علم الاجتماع.
- . فاروق زكي يونس(1970)، **الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة.
- . مُحَمَّد أحمد الزعبي(1979)، **التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي**، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- . طلال عبد المعطي مصطفى(2002)، **أبحاث في علم الاجتماع: نظريات ونقد**، ط1، دار هادي، دمشق.
- . أشرف عبد العزيز عبد القادر وآخرون(2013)، **النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية: سياسات التنمية وفرص العمل: دراسات قطرية**، ط1، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسات، قطر، متاح على الرابط: https://books.google.dz/books?id=ub1mDwAAQBAJ

[29] . حمدي شعبان(2016)، **الهجرة غير المشروعة: الضرورة والحاجة**، مركز الاعلام الأمني، مصر، متاح على الرابط:https://download-library-pdf-ebooks.com/26551-free-book